١٤ أكتوبر - العدد ٥٢١٠
١٣ مارس ١٩٨١م ص٤

الإمتاع والمؤانسة
المسلسل الإذاعي والكتاب الأدبي

علوي عبد الطاهر

تقدم الاذاعة المركزية هذه الايام عن ارادتها في التطور والتقدم» ٠ مسلسلا بعنوان - الامتاع والمؤانسة - لابى حيان التوحيدي، والمتتبع لحلقات المسلسل - لاشك سيستمتع بحلقاته ، وسيستأنس بالدقائق القليلة التى سيقضيها فى متابعة هذا المسلسل ٠

والحق اقول لكم ان جميع الحلقات المسلسل قد شدتنى، واجبرتنى على متابعتها ، وحفزتنى على اعادة قراءة الكتاب الذي يحمل الاسم نفسه الامتاع والمؤانسة - لابى حيان التوحيدي ، ولعل هدف معدي هذا المسلسل ومقدميه ، الى جانب امتاع المستمع وتسليته ، هو دفعه الى قراءة هذا الكتاب الشيق والممتع ٠ وهذا ما حصل بالنسبة لى على الاقل ، حيث اندفعت متحمسا لقراءة الكتاب الذى كنت محتفظا به فى مكتبتى منذ مدة ، ولم اتمكن من قراءته - اعنى قراءة الدارس المستمتع - ولكن حلقات هذا المسلسل - مشكورة اعادت العلاقة بينى وبين هذا الكتاب ، فقد اوجدت في نفسى الحافز ، وايقظت في ذاتى غريزة حب الاستطلاع ، وحسنا صنعت، وشكرا للاذاعة المركزية على تقديمها مثل هذه المسلسلات الرائعة والمفيدة ٠

ان الفائدة التى يجنيها المستمع من مثل هذه المسلسلات فى اللحظات الممتعة التى يمكثها الى جوار جهاز الراديو ، وانما تكمن في الساعات التى يقضيها مع الكتاب الذي استمد المسلسل منه مادته ٠

ولما كان الكتاب مفيدا، وحيث أن الوقت الذي قضيته في قراءته كان شيقا ومثمرا ، وجدت نفسى مجبرا على اعطاء القارىء لمحة موجزة عن هذا الكتاب وعن مؤلفه، لعله يجد نفس الدافع الذي وجدته لقراءته، وفي اعتقادي ان القارىء لن يندم على الوقت الذي سيمضيه مع هذا الكتاب ولو طال ٠

وقبل الحديث عن الكتاب احب ان اتحدث عن مؤلفه فالمؤلف هو : - ابو حيان التوحيدي - من ابناء القرن الرابع الهجرى ، عاصر ابن العميد والصاحب بن عباد والخوارزمى وبديع الزمان الهمذانى ٠

تاثر جدا بالجاحظ ، فاقتفاه وجرى مجراه ، واولع بنسخ كتبه وقرظه في كتابه - تقريظ الجاحظ - ٠

نبغ ابو حيان التوحيدي في بغداد، وكان في اول امره يمارس الوراقة والنسخ ، ولكن هذه الحرفة لم تدر عليه دخلا ، فعاش فقيرا وضيعا ، فالتفت حوله راى الادباء يقصدون الامراء وارباب الوجاهة والثروة ، وينالون من عطاياهم ، وشعر انه يتفوق على الكثيرين منهم ، فترك اليه برسالة طويلة تقع فى اكثر من ست صفحات كبيرة ، ذكر فيها ما ناله من فقر وحرمان وما اصابه من نكد الناس والزمان ٠

ثم لزم ابن العميد مدة، ولكنه لم يجد لديه ما كان يطمح به ، فتحول الى خصمه - الصاحب بن عباد - حيث بقى ثلاث سنوات لم يحصل منها الا على خيبة الامل ٠ ثم رجع الى بغداد خائبا يحمل الحقد والضغينة للوزيرين ، ابن العميد والصاحب بن عباد ، فالف فيهما كتابه - مثالب الوزيرين - اشبعهما فيه ذما وتعريضا ، وخصوصا ابن عباد ٠

ثم اتصل في بغداد بابى عبدالله الحسين بن سعدان ، وزير صمصام الدولة البويهى ، وكان قد قدمه اليه ابو الوفاء المهندس ، وبدأ يشعر بنوع من الراحة والهدوء عند ابن سعدان، ولكن راحته تلك لم تدم طويلا ، اذ سرعان ماشعر ان ابن سعدان، قد مله وتغافه عنه ولم يعد يبالى به، فاثر ذلك في نفسه حتى كتب الى ابن سعدان رسالة يشكو به حاله وتذمره من هجره له ٠

ولما لم يحصل من ابن سعدان على طائل هجره ورحل [illegible]

من الذم والتحقير حتى تألبوا عليه واعزوا الوزير باهماله ، وقد تألب بعد ذلك هؤلاء النحماء على ابن سعدان وقتلوه ونكلوا بمن كانوا مقربين اليه، ولما احس التوحيدي بالخطر هرب الى شيراز واختلط بالمتصوفه فاصبح واحدا منهم ولزم حياة الزهد والتقشف معهم .

وللتوحيدي مؤلفات كثيرة ، الا انه كما يقال احرقها قبل وفاته انتقاما من الناس الذين جهدوا علمه وادبه وكفروا بصنيعه، وان النسخ التى وجدت من مؤلفاته هى كتبت عنه قبل وفاته وخرجت منقبل ان يحرقها ، ومازال الكثير من تلك - الامتاع والمؤانسة - وهو كتاب ضخم يقع في ثلاثة اجزاء كبيرة، القليل ومن اهمها كتابه الشهير الكتب مخطوطا ،ولم يطبع منها الا قامت دار مكتبة الحياة في بيروت بطبعها وضمها في مجلد واحد،بعد ان صححه وضبطه وشرح غريبه كل من احمد امين واحمد الزين .

ولتاليف هذا الكتاب قصة طريفة خلاصتها :

ان ابا الوفاء المهندس كان صديقا لابى حيان التوحيدي، وايضا صديقا للوزير عبدالله ابن سعدان الذي يعرف احيانا بـ - العارض - فقرب ابو الوفاء ابا حيان من الوزيرووصله به ومدحه عنده، حتى جعل الوزير ابا حيان من سماره وجلسائه .

فسامر ابو حيان الوزير حوالي اربعين ليلة كانيحادثه فيها، ويطرح الوزير عليه اسئله في مسائل مختلفة يجيب عنها ابو حيان .

وكان ابو الوفاء يطلب من ابى حيان ان يقص عليه كل مادار بينه وبين الوزير من حديث ، وذكره الوزراء لقبح هيئته، وسوء عادته ، وقلة مراعاته ، وحضارة لبسته،وهدده ان هو لم يفعل ان يوقع عقوبته فيه ، وينزل به الاذى .

فاجاب ابو حيان طلب ابى الوفاء ونزل على حكمه وفضل ان يدون كل مادار بينه وبين الوزير من دقيق وجليل وحلو ومر، فوافق ابو الوفاء على ذلك، ونصحه ان يتوخى الدقة والصحة والصدق في كل ما يورده ، وان يطنب حيث يستوجب الاطناب ، ويصرح حيث ينبغى التصريح. فكان من ذلك كله هو كتاب - الامتاع والمؤانسة - .

وقد قسم ابو حيان كتابه هذا الى ليال ، فكان يدون في كل ليلة مادار بينه وبين الوزير على طريقة قال لي ، وسالني، وقلت له واجبته. وكان الذي يقترح الموضوع هو الوزير دائما، وابو حيان يجيب عما اقترح ، وكان الوزير يقترح اولا موضوعا حسبما اتفق وينتظر الاجابة ، فاذا اجاب ابو حيان اثارت اجابته افكارا ومسائل عند الوزير فيستطرد اليها ويساله عنها. فقد يسال سؤالا ياتى في اثناء الاجابة عنه ذكر لابن عباد وابن العميد أو غيرهما، فيساله الوزير عنهم وعن رايه فيهم، وهكذا يستطرد من باب الى باب ،حتى اذا ما انتهى المجلس كان الوزير يساله غالبا ان ياتيه بطرفة من الطرائف يسميها غالبا عادة نادرة لطيفة او ابياتا رقيقة ، ملحة الوداع ، وهذه الملحة تكون واحيانا يكلفه الوزير ان ينم له المسالة المعروضة في رسالة ، فقد ساله مرة عن المصادر التى تجىء على وزن - تفعال - فاجابه ابوحيان عن بعضها ، ثم طلب منه الوزير ان يجمع له ما جاء في اللغة منها .

فابو حيان مثلا يروي عن - ديوجانس - انه سئل : متى تطيب الدنيا ؟ فقال : - اذا تفلسفه ملوكها ، وملك فلاسفتها - . فلم يرض الوزير عن هذا وقال : ان الفلسفة لاتصح الا لمن رفض الدنيا وفرغ نفسه للدار الاخرة ، فكيف يكون الملك رافضا للدنيا وطالبا لها وهو محتاج لسياسة اهلها . الخ .

وفي كثير من الاحيان يعلق الوزير على اجابة ابى حيان بالاستحسان او الاستهجان مع ذكر اسباب ذلك .

ان موضوعات كتاب - الامتاع والمؤانسة - كثيرة ومتنوعة، تنوعا ظريفا من غير ترتيب ولاتبويب، وانما تخضع لخطرات العقل وطيران الخيال وشجون الحديث ، حتى انجد في الكتاب مسائل من كل علم وفن، فادب وفلسفة ، وحيوان ومجون ، واخلاق، وطبيعة وبلاغة ، وتفسير، وحديث ، وغناء ولغة، وسياسة، وتحليل شخصيات لفلاسفة العصر وادبائه، وعلمائه ، وتصوير للعادات، واحاديث المجالس وغير ذلك .

انه كتاب ممتع حقا ومؤنس لكل من يقرؤه .

فشكرا لاذاعتنا المركزية على تقديمها مسلسل -الامتاع والمؤانسة- فبدونه لظل الكتاب في مكتبتي غير